تاريخ وتنوّع الشُروح في الأندلس ما بين القرنين(3و5هـ/9و11م)

The history and diversity of commentaries in Andalusia between the 3rd and 5th centuries AH/9th and 11th centuries AD

جميلة نهار*

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

djamila.nehar@univ-alger2.dz

أ .د أم الخير عثماني

جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة.

o.otmani@univ- dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/01 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النَّشر: 2025/12/16

ملخّص:

تنوّعت تآليف الشروح في بلاد الأندلس، خاصّةً فيما بين القرنين(3و5هـ/9 و11م) كما في المشرق الإسلامي، لتوفّر الشروط نفسها في ظهورها، فأغلبها ذو طابع تعليمي، ونظرًا لتعلّق الأندلسيين بالعلم؛ حُكّامًا وعلماءً وكذلك عامّة النّاس وخاصّتهم وطلبة العلم، فقد ازداد معدّل التأليف في شتّى المجالات، خاصّةً بعد حمل العلماء الأندلسيين لأُمّهات الكتب ونقْلها لبلدهم الأمّ، وما تخلّلها من صعوبات، ممّا أدّى إلى تبسيطها عن طريق الشرح، فكان شفويًا، ثمّ كتابيًا، خاصّةً ما يخصّ اللغة العربيّة وعلوم الدّين، حيث كان أمرهما مقدّسًا ليس فقط في بلاد الأندلس؛ بل شمل هذا الأمر جُلّ الأمصار الإسلاميّة.

وممّا زاد في تأليف الشروح أيضًا في الأندلس الروح التذوقيّة الّتي تميّز بها الأندلسيون لكلّ ما هو مفيد، حيث تأثّروا بفطاحل العلماء المشارقة الذين ذاع صيتهم، سواءٌ دينيًا

* المؤلف المراسل

أو لغويًا أو فنيًّا أو تاريخيًا، فاستخلصوا الفوائد الجمّة من جميع ما شرحوا من مصنّفاتٍ، فكان هذا توسّعًا وتواصلًا وإثراءً وتعزيزًا ثقافيًا وعلميًا بين المشرق الإسلامي وبلاد الأندلس، فكانت له آثاره في الحياة العلميّة.

الكلمات المفتاحيّة: الأندلس ؛ الشروح ؛ أبو تمّام ؛ النحو ؛ الحديث ؛ تاريخ.

* نهار جميلة؛ عثماني أم الخير.

Abstract

The compositions of commentaries varied in Andalusia, especially between the 3rd and 5th centuries AH/9th and 11th centuries AD, as in the Islamic East, due to the availability of the same conditions for their emergence, as most of them were of an educational nature, and due to the Andalusians' attachment to knowledge; rulers and scholars as well as the general public and their elite and students of knowledge, the rate of composition increased in various fields, especially after the Andalusian scholars carried the most important books and transferred them to their mother country, and the difficulties that occurred, which This led to its simplification through explanation, which was oral and then written, especially with regard to the Arabic language and religious sciences, as their matter was sacred not only in Andalusia, but rather this matter included most of the Islamic countries.

What also increased the composition of commentaries in Andalusia was the spirit of appreciation that distinguished the Andalusians for everything that was useful, as they were influenced by the great scholars of the East who were famous, whether religiously, linguistically, artistically or historically, so they extracted the great benefits from all the works they commented on. This was an expansion, communication, enrichment and cultural and scientific strengthening between the Islamic East and the lands of Andalusia, and it had its effects on scientific life.

Keywords: Andalusia; Commentaries; Abu Tammam; Grammar; Hadith; History.

مقدّمة:

رافق اتّساع رقعة الدويلات والإمارات الإسلاميّة عامّةً وبلاد الأندلس خاصّةً، تعدّد العلوم وتشعّب تخصّصاتها ممّا انعكس على حركة التدوين التي تُعدُّ بمثابة الحافظ لها

من الاندثار، فكانت السبب في ظهور المكتبات وزيادة التنافس في التأليف من قِبَل العلماء أنفسهم أو من قِبل الحكّام، لأنّ طلب العلم في حقبة العصور الإسلاميّة كان سِمَةً مهمّة لكلّ من ينضوي تحت الرقعة الإسلاميّة، وازدياد التأليف دليل على الاستقرار والقوّة، فقد أسهمت الرحلات والأسفار والمناظرات في ذلك.

ونظرًا لتشعّب العلوم وتداخلها وتكاملها فقد تميّزت دروسها بالصعوبة على مُتَلقّيها، خاصّةً من الطلّاب، فكان لزامًا على مقدّميها أن يوصلوا مضامينها بشكلٍ غير الّذي تلقّوْها به لمتعلّميهم، ومُحبّي دروسهم، فكانت إشكالية مقالي ممثّلةً في: ما مكانة الشروح والتآليف في بلاد الأندلس بين الواقع والمأمول؟، ولمعالجتها حدّدتُ جملة أسئلة لتكون خطوات لمقالي هي: لماذا ظهرت كتب الشروح في بلاد الأندلس؟، ومنْ هُم الذين ألّفوا فيها أكثر؛ علماءُ الدين أم علماء اللغة؟، وهل كان لها إضافة في النهضة العلميّة في بلاد الأندلس؟ وما علاقتها بحركة التأليف في المشرق الإسلامي؟ .

أوّلًا– أسباب ظهور كُتب الشروح:

ارتبط ظهور كتب الشروح في بلاد الأندلس بالحركة النّقدية في المشرق الإسلامي التي مسّت جملةً من العلوم، فخصّت علوم الدّين؛ من قرآنٍ وحديثٍ، وغيرهما، من قِبل الدّارسين الأندلسيين أو الوافدين المشارقة، فتجلّت هذه الشروح في مصنّفاتٍ ألّفوها لكتبٍ تأثّروا بها، لأنّهم كانوا مدرّسين وعلماء متخصّصين أو موسوعيين، وغير ذلك، وتطرّق هؤلاء لهذه الشّروح بالّتعليم عن طريق الإملاء أو المناظرة أو الإسماع أو الإقراء، فهي تدلّ على ميولهم واتّجاهاتهم العلميّة.

وأوّلُ مَن أدّب بقرطبة العالم الغازي بنُ قَيْس(ت199هـ/815م)[1] الّذي كانت له رحلة إلى المشرق الإسلامي، فالتقى بالأديب الأَصْمعي(ت216هـ/831م)[2]، وغيره من فطاحل اللّغة[3]، فاعتمد الشّرح لمختلف المؤلّفات الجاهليّة وما أُلِّف بعدها، وما أُقيم من مناظراتٍ في مختلف المجالس والحلْقات[4] إلى جانب العلّامة

اللغوي أبي علي، اسماعيل بن القاسم بن هارون بن عَيذُون البغدادي القَالي (ت356هـ/967م) الّذي عمل على شرح الدّواوين الشّعرية المشرقيّة العائدة إلى الحقبة الجاهليّة والإسلاميّة، ونقل أجمل ما نُظِم من شعرٍ إلى كلّ تلامذته بنوعٍ من الرُّقيّ في الذَوْق، فكانت آراؤه وغيره من المؤدّبين والنّحاة بدايةً لميلاد النّقد الأندلسي[5].

ونظرًا لما قيل بانتماءٍ الأدب الأندلسي للأدب المشرقي، فقد حزَّ ذلك في نفوس الأندلسيين، فدافعوا على باعِهم العلمي وتفوُّقه عن غيره، من خلال التأليف في التّراجم ككتاب"تُحْفة القادِم" لابن الأَبَّارِ(ت658هـ/1260م)، وكتاب"الذخيرة في مَحَاسِنِ أهلِ الجزيرة" لابنِ بَسَّام الشَنْتَرِينِي(ت542هـ/1147م)، وغيرها، ليُبْرِزُوا كفاءاتهم العلميّة في شتّى المجالات[6]، فألّف الأديب والشاعر أبو عامر، ابن شُهَيْدْ الأندلسي(ت393هـ/ 1002م) كتابه "حانوت عَطَّار"، كما أَظهر دفاعه عن تفوّقهم، من خلال رسالته الموسومة "بالتّوابع والزّوابِع"، والطّريق نفسه سار عليه الإمام ابن حَزْمِ(ت456هـ/ 1064م)، والأديب إسماعيل بن محمّد الشّقَنْدي(ت629هـ/1233م) في رسالتيهما الّتي تناقلتها المصنّفات في ذلك الزّمن وما تلاه، تضمّنتا أخبار عن أهمّ علماء بلاد الأندلس الّذين لهم باعُهم الفكري والعلمي بالموازاة مع علماء المشرق الإسلامي في شتّى العلوم، وبيّنوا تفوّقَهم عليهم[7].

وللدفاع عن تقدّمهم الأدبي والعلمي عمدوا إلى المعارضات؛ إذ عارض الشاعر ابن الفَرَج، أحمد بن محمّد الجيّاني(ت365هـ/975م) في كتابه، كتاب "الزَّهْرة " لمحمّد بن داود الأَصبهاني(ت297هـ/909م)، وسليمان بن موسى الكِلَاعي(ت634هـ/ 1237م) الّذي ألّف ثلاثة كتبٍ معارضًا بهم الشاعر أبو العلاء المعَرّي(ت449هـ /1057م)[8]، كما لجؤوا إلى أسلوب المقَايَسات كالمقارنة بين الشّعراء أمثال، ابن زيدون الأندلسي(ت463هـ/1071م) مع الشاعر المتنبّي(ت354هـ/965م)، وغيرها.

كما استخدموا أسلوب الشّروح ليُبيّنوا مَقامهم أمام المشرق، فكانت البداية الفعليّة لهذه الحركة في بلاد الأندلس في القرن(4هـ/10م) على يد كلٍّ من الأديب أحمد بن أَبَّان (ت338هـ/950م)، ووليد بن عيسى بن حارث بن سالم بن موسى الطَّبِيخي (ت352هـ/363م) ، وهو من علماء اللّغة والأدب، وهو أحد أهمّ المؤدّبين لأبناء الجِلّة والملوك، له عدّة شروح في شعر حبيب بن أَوْس الطائي أبي تمّام، وشروح شعر صَرِيع الغَوَاني(9).

ومن الشروح ما كان منها سَماعيًا بما كان في الحلْقات، خاصّةً منها الشّعريّة والنّحويّة، وكانت تختصّ أكثر بالروائع المشرقيّة، فاتّضح تأثيرها في المصنّفات الأندلسيّة، حيث ذُكر أنّ حَماسة يوسف بن سليمان بن عيسى الأَعْلَم الشَنْتَمَرِي(ت476هـ/ 1083م) الّتي فاقت حماسة حبيب بن أَوْس بن الحارث أبو تمّام(ت231هـ/845م).

وكثُرت الآراء حول كتب الشُروح، فهناك مَنْ رأى بأنّها ليست بالظّاهرة الصّحيّة في الوسط الثّقافي لأنّها تُوحي بفُتورٍ في النّشاط الإبداعي التّأليفي الذي ينتقل إلى المؤلّفات الجاهزة ومطالعتها وشرْحِ ما استصْعب منها لغةً أو من خلال المحتوى، وأنّها لم تأتِ بالجديد، ولم تُثْرِ الموضوعات الّتي غَفَل عنها الدّارسون، ولم تكن تتمّة لموضوعات سابقة (10)، وأنّها وضعت لتسهّل لطوائف المؤلّفين لما يحتاجوا إليه من معلوماتٍ تُدَعِّمُ موضوعاتهم(11).

واعتُبِرت الشّروح إحدى المظاهر النّقديّة إلى جانب كُتُب المخْتارات والتّراجم والطّبقات والرّسائل الأدبيّة والمؤلّفات التّاريخيّة(12)، وميلادها كان للأغراض التعليميّة(13)، وأنّها إحدى مظاهر الثّقافة الّتي اختصّت بها مجموعة كبيرة من علماء الأندلس، فهي تعبّر عن رَدَّة فعلٍ طبيعيّة لهؤلاء العلماء، إمّا لإبداءِ رأيهم أو تصحيح خطأ، سواءٌ حول التّأليف أو عند النّقل أو لإضافة جديدٍ، كما أنّها تُعدُّ شارحة لما صعُبَ عن الطلاّب والمتعلّمين في تلك الحِقَب، خصوصًا منها تلك الشّروح الّتي اختصَّت بكُتُب التّعليم

المقرّرة فأصحابها أرادوا من خلالها تبسيط المعلومة وتقديمها بشكلٍ مُيَسَّر ومُشَوَّق، سواءٌ فيم يخصّ المصطلحات أو الأسلوب.

ونظرا لاتّسام كتب ومؤلّفات السّابقين بالموسوعيّة وكثرة الإسهاب والشّرح والتّفصيل والقَرْضِ، وما يتخلّلها من آراء وقِصصٍ ومواقف وأحداث لهؤلاء قد لا تهمّ الباحثين لذا كان على هؤلاء أن يؤلّفوا هذه الشّروح لتخصُّص وتُفصّل في مجالات كثيرة لتُسهّل على العلماء والطلبة في مجال بحْثهم عناءَ المطالعة لأمّهاتٍ الكتب الّتي ستذكر لاحقًا.

والملَاحظ أنّ لُغَوِيّي الأندلس كغيرهم من علماء تلك الحِقبة التّاريخيّة اتّسموا بالصّبغة الموسوعيّة فاهتمّوا بجميع العلوم، ومن خلال كتب التّراجم نرى ذلك بشكلٍ أَوْضَحَ، وهذا ليس فقط للأندلس؛ بل أيضًا تراجم المشارقة والمغاربة هي الأخرى زَخَرَتَ بمعلوماتٍ تخصّ تعدّد العلوم، ونجد العالم الواحد يُلِمّ بأكثر من علمٍ، والأَمْرُ نفسه بالنسبة لتصانيفه وكتاباته.

ثانيًا– أنواع كُتب الشروح:

تنوّعت كتب الشّروح فأكثرها في اللّغة في علم النّحو والشّعر، وعلوم الدّين بالأخصّ علم الحديث، وكان شُرّاحها من المؤدّبين الّذين في بادئ الأمر الذين ارتبطت أحكامهم بمدى إعجابهم، لينعكس الأمر فيما بعد إلى مثْل الّذي حدث في المشرق الإسلامي، ومن الخوف من دخول اللّحن على اللّغة العربيّة، فجاءت لتصحيح وتقويم ما صدَر من أخطاءٍ، فكان للمؤدّبين الفضل في الحفاظ على اللّغة من كلّ ما يشوب قواعدها[14]، خاصّةً لتنوّع التركيبة السّكانيّة بالأندلس، من بربرٍ وعربٍ ويهودٍ ونصارى وغيرهم[15]، أمّا بخصوص كتب شروح الشّعر فالناظم فيها له أسلوبه الخاص، من حيث الألفاظ واستعمال المجاز هذا الأخير الّذي يهرب بالخيال[16] فيجد القارئ أو السّامع صعوبة في تحديد المقصود بالضبط، نذكر من أهمّها مايلي:

2–1 –الشروح الأندلسيّة في القرنين(3و4هـ/9و10م):

بالنسبة للأندلس أقدمُ شرحٍ ذُكر في القرن(3هـ/9م)، من خلال تراجم الأندلسيين ، وكان لعباس بن فِرْناس(ت274هـ/887م) في شرح كتاب خَليل بن أحمد الفَرَاهيدي" العَيْن" في العَرُوض، حيث أسماه "الفرش"(17) بعد أن أحضره معه من المشرق الإسلامي(18)، أمّا القرن (4هـ/10م)، فقد صار الشّعر واضحًا، حيث اجتمعت عدّة أمور أدّت إلى ذلك منها، جهود الرّواة وأصحاب الدّواوين والمجموعات الشعّريّة، وتبِعَتْه جملة من الشّروح الّتي مسّت نحوه ولغته وأغراضه، وغير ذلك من الأمور الّتي تخصّه والملاحظ أنّ التنوّع فيها كان كبيرًا في هذا القرن، وما بعده.

من أشهرها في المشرق الإسلامي: شروح ابن الأَنْباري(ت328هـ/939م) بعنوان"شرحُ السَبْع الطِوَال"، وشرحُ "المفَضَلِيات"(19)، وله "شرحُ الكافي"، و"شرحُ أبي جعفر النَحَّاس المصري"(ت338هـ/950م) لديوان طَرْفة، وزُهَير، والنّابغة الذُّبياني(20)، كما له "تفسير أبيات سيبُوَيْه"(21)، وبالنسبة للأندلس فقد تنوّعت الشروح وواكب هذه النقلة الفكريّة والعلميّة من اتّساع المساجد وتنوّع دورها فكانت بمثابة الجامعة، وتنوّعت حلْقاتها، وكثُر علماؤها، وصار العلم يُؤخذ في البيوت والمكتبات والثغور العسكريّة، وازدادت الرحلات العلميّة.

واتخذ علماء الأندلس من أداء فريضة الحج سببًا لاغتراف شتّى العلوم، وهذا لمرورهم بأهمّ المدن العلميّة فنشروا علمهم وجلبوا ما أحبُّوا من دروسٍ ومعلومات، فازداد عدد الطلاب والحلْقات، مع تنوّع كتب شروح المؤلّفات المعنيّة بالدراسة مابين علمٍ الحديث وعلوم القرآن النّحو، والعروض والشعر وآداب اللّغة، والملاحظ في حركة التّأليف بالأندلس أنّها انقسمت إلى نوعين: فالأوّل يرمي إلى شرح الكتب التي تخصّ الدّواوين الشّعريّة وكتب المقرّرات في الدّراسة، والنوع الثّاني الّذي يرمي للتأليف المعْجمي الّذي يقلّ أهميّةً وكمًّا عن النّوع الأوّل(22)، ويمكن الإشارة إلى بعض أنواع الشروح فيما يلي:

أ- شروح المؤلّفات النّحويّة، امتازت أمّهات هذا النوع من الكتب بالصّعوبة اللّغويّة والغموض وكثرة الإسهاب ممّا سبّب صعوبة الفهم لدارسيها ومتعلّميها، إضافةً لصعوبة علم النّحو، وهذا كان مُدْرَكًا من قِبل مؤلّفيها، حيث أصبحت المصنّفات تُشْرَح وتُخْتَصرُ خدمةً لطلّاب العلم، على الرغم من أنّ ما اختُصر منها انتقده العلّامة ابن خلدون بأنّه مُخلّ بالتّعليم ومُعيق له[23].

ومن أصحاب الكتب الصّعبة المشرقيّة المنشأ أمثال، ما ألّفه الأديب عمرو بن عثمان، المعروف بسيبُوَيه[24](ت180هـ/796م)[25]، ومحمّد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرّد(ت286هـ/899م)[26] قال عنه الإمام الذهبي:"......آية في النّحو"[27]، ومحمّد بن إبراهيم بن يحيى النَيسابوري الكِسائي[28](ت189هـ/805م)[29] الّتي ظهرت لها عدّة شروح في المصرين المشرق والأندلس، وبلاد المغرب، خاصّةً بعد دخول الآراء الفلسفيّة في عديد مسائله، وكذلك لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، المعروف بالزّجّاجي(ت340هـ/951م) الّذي لقّبه الإمام الذهبي بشيخ العربيّة[30]، ومصنّفه في النّحو من أجل تسهيل هذا العلم، حتّى وأنّ هذا الأخير مصنّفه كان شرحًا للمؤلّفات اللّغويّة الصعبة، ولأنّ المصنّفات النّحويّة الّتي اتّسمت بالصّعوبة أدّت بالمتعلّمين من تفادي دروس النّحو ككتاب سيبُويه[31].

ب- شروح علوم القرآن: مسّت التّفسير والقراءات والحديث والفقه التي تَدَارَسها الأندلسيون باهتمامٍ كبير خدمةً لدينهم ودنياهم، ومنها:علم الحديث الّذي اهتمّ به المسلمون ككلّ في كلّ البقاع نظرًا لفائدته في فهم الدّين وتفسيره له، وحسب العلّامة ابن خلدون(ت808هـ/1406م):" ومن علوم الحديث النّظر في الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السّند الكامل الشّروط، لأنّ العمل إنّما وجب بما يغلب على الظّن صِدقه من أخبار رّسول لله -صلّى الله عليه وسلّم-، فيجتهد في الطريق الّتي تحصّل ذلك الظّن، وهو بمعرفة روّاة الحديث بالعدالة والضّبط، وإنّما يثبت ذلك

بالنّقل عن أعلام الدّين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفْلة، ويكون لنا ذلك دليلًا على القبول أو التّرك"[32].

وفي هذا العلم نجد كتاب"الدلائل"، وهو في شرح الحديث، وتميّز بالإتقان والتّجويد أَكْمَلَه ثابت بن حزم العَوْفي(ت313هـ/925م) عن ابنه قاسم[33]، ونجد العلّامة النّحوي أحمد بن أَبّان بنُ سيّد اللغوي(ت382هـ/992م)، له شرحٌ على كتاب الأَخْفَشْ(ت210هـ/825م) "معاني القرآن" الذي قال فيه سهلٌ بن محمّد بن عثمان البصري، المعروف بأبي حاتم السِّجِستاني(ت250هـ/ 864م)[34]، "كتابه في المعاني صُوَيلح وفيه أشياء من القدر"[35].

ت- شُروح العلوم اللغويّة والأدبيّة: نجد في مقدّمتها علم النحو الّذي اهتمّ به الأندلسيون بعد اهتمامهم بالعلوم الدّينيّة لأهمّيته البالغة وعلاقته بباقي العلوم، ويجب على العالم في تلك الحقبة الإلمام به، والملاحظ أيضًا في هذه الفترة اهتمام الأندلسيين بمؤلّفات أهمّ نُحاة المشرق، على رأسهم سيبُويه والكِسائي والأَخْفَش، ومن الّذين عُرفوا بضبطهم في النقل والدقّة في الجمع، فكتاب سيبُويه أحدث ضجّةً علميّة كبيرة، حيث اتّجه علماء الأندلس والطلّاب لقراءته وفهمه، ولم يتركوا جانبًا فيه إلاّ وحلّلوه.

ومن علماء الأندلس مَنْ حَفِظه وفهِم محتواه فكانت النتيجة بروز عديد الشّروح والتّعليقات، وغيرها، وقيل في صدده: أنّ مَنْ لم يتدارسه لا يعرف شيئًا، ودلالة حِفظه من علامات النّبوغ في اللّغة العربيّة[36]، وفيه بثّوا آراءهم في مؤلّفاتهم وكُتب شروحهم، لذا عُدَّتْ الشّروح من التّصنيفات النّحويّة المهمّة في تاريخ علم النحو[37] فاهتمّوا بكتاب سيبُويه، على الرغم من أن مصنّف الكِسائي كان له سبْق الولوج للأندلس[38]، ومن هؤلاء محمّد بن يحي الرَّبَّاحي الجيّاني(ت353هـ/964م) الّذي التقى في مصر بالنَّحّاس فأخذ عنه كتاب سيبُويه روايةً، وبرجوعه لقرطبة درّسه شارحًا إيّاه لتلاميذه[39].

ومن الّذين حملوا علم النّحو البصري إلى الأندلس إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عَيْذُون البغدادي القالي[40](ت356هـ/967م)، حيث كان زاده في ذلك حمولة لغويّة عظيمة ساهمت بشكلٍ كبير في الصّرف والنّحو[41]، والشعر[42]، حيث جلب معه "كتاب سيبُويه(ت181هـ/796م) الّذي بحثه على بن درَسْتوَيه(ت347هـ/958م)[43]، عن المبرّد(ت286هـ/899م)، فنشر منهج النّحو البصري[44]، وله عديد المؤلّفات منها، ما يخصّ موضوعنا "شرح المعلّقات السبع"[45].

كما نجد الأديب عبد الله بن حمود بن عبد الله بن مِذحج الزُبيدي (ت372هـ/983م) هذا المصنّف الإمام في النّحو هو الآخر شرح كتاب سيبويه[46]، وهذا أيضًا محمّد بن الحسن الزُبَيدي(ت379هـ/989م)، له شرح كتاب "الكتاب" لسيبُويه[47]، على اعتباره من أئمّة النّحّاة والمؤدّبين، الملقّب بصاحب التّصانيف[48]، وبالنسبة لكتاب الكِسائي ونحوه الذي أُدخل الأندلس قبل سيبُويه من قِبل عثمان بن جُودي(ت198هـ/814م) فلم يكن له مثل صيت كتاب سيبُويه، وهذا لم يمنع من تدارسه، وكانت له جملة من الدارسين والشروح، فهذا ومحمّد بن أصبغ، المعروف بدَرْيُود (ت321هـ/933م)، له شرح في نحوِ الكِسائي(ت189هـ/804م) في ستّة أجزاء، وربّما هو كتاب مختصر في النّحو الّذي ذكره الإمام الذّهبي(ت748هـ/1347م)[49].

وهناك من اهتمّ بنحّاة آخرين، كأحمد بن أبّان بن سيّد(ت382هـ/992م) الذي شرح كتاب سعيد بن مسعدة البَلْخي البصري، المعروف بالأخْفش(ت210هـ/825م)، وربّما هو كتاب معاني القرآن أو العَروض أو من كتبه النّحويّة الكثيرة[50]، وبهذا كان ظهور دراسة النّحو المتخصّصة، خاصّةً بعد عودة العلماء إلى الأندلس بعد أن تلقّوا هذا العلم من تلاميذ النحاة الأوائل، من كلا المدرستين النحويتين البصريّة والكوفيّة الّذين بدورهم ألّفوا على نَسَقِ كتب سيبُويه هذه الشروح.

أمّا بخصوص الأدب واللغة، فمن الأطباء الذين اهتمّوا بهذا العلم كلٌّ من سليمان بن محمّد الزَهراوي(ت403هـ/1013م)[51]، والمؤرّخ محمّد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، المعروف بابن القُوطية[52](ت367هـ/977م)، لكلٍّ منهما: "شرحٌ على كتاب أدب الكاتب" لابن قُتيبة، هذا المصنّف الّذي اشتهر في القرن(2هـ/8م) في عصر بني أميّة في عهد الخليفة الأُموي مروان بن محمّد، حيث صار أهمّ كاتب عنده، ولعلّه لقيّ اهتمامًا من الأندلسيين لشغفهم بمعرفة أصول فنّ الكتابة وما يجب على أيّ كاتب أن يلمّ به، على اعتبار أنّ هذا المصنّف من أحد أهمّ أصول فنّ الكتابة، حيث ذكر ابن خلدون أنّها:"صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التّي يميّز بها عن الحيوان"[53].

خاتمة:

يتبيّن أنّ الشروح كانت منطلقًا لابدّ منه بعد دخول الكمّ الكبير من المؤلّفات المشرقيّة إلى بلاد الأندلس، فكانت بادئ الأمر شفويّة خاصّة في عصر الأمويين بالأندلس لتنتقل فيما بعد إلى مصنّفات قائمة بذاتها في القرن(3هـ/9م) وما يليه، وكان ظهورها من أجل غاية تبسيط التعليم والفهم لما يحمله أسلوبها من صعوبة وكثرة معلوماتها شقَّ على طلّاب العلم فهمها، ومسّت الجانب الأدبي خاصّةً لشعر المتنبّي، وابن تمّام وشعراء المعلّقات وعلم العَروض، وكلّ ما يخص علم النحو، وعلوم القرآن، والسيّرة النبويّة، ولم تقتصر على قرنٍ؛ بل تواصلت مع القرون المختلفة.

كما كان لها الفضل في زيادة وتطوّر التحليل الأدبي والتفسير العلمي، وكانت حلقة وصل بين المصرين المشرقي والأندلسي والتواصل فيما بينهما والرفع من مستوى التحليل النقدي، على الرغم ممّا للشروح من مساوئ كالإسهاب والتحيّز للرأي، بحكم المكان والزمان والانتماء والاختلاف الثقافي والديني والاجتماعي.

الهوامش:

[1] الغازِي بن قَيْس، كان ملتزمًا للتأديب بقرطبة، ثمّ رحل إلى المشرق، وشهد تأليف الإمام للموطأ، وهو أوّل من أدخله الأندلس، نال التقدير من الخليفة الأندلسي عبد الرحمن بن معاوية. أنظر، السيوطي(جلال الدين، عبد الرحمن): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق:محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (1399هـ/1979م)، المكتبة المصرية، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ج2 ، ص241 .

[2] **عبد الملك الأصمعي ابن قُرَيْب بن عبد الملك بن أَصْمَع**: كان الخليفة هارون الرشيد يسمّيه "شيطان الشعر" عاش إحدى وتسعين سنةً، وتوفيّ في شهر رمضان. أنظر، التنوخي(القاضي أبو المحاسن، المفضل بن محمّد بن مِسْعر التنوخي المعّري.ت442هـ)، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمّد الحلو، مكتبة مروان العطيّة (1401هـ/1981م)، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربيّة السعوديّة، ص222 .

[3] **مجاهدي(فايزة)**: الاتجاهات النقدية في الأندلس من القرن4 إلى ن7 هـ، دكتراه علوم، إشراف أ. د. محمد بن عمر ، دكتوراة علوم، (1441.1440هـ/2018-2019م)، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص5.

[4] نفسه .

[5] فايزة، المرجع نفسه، ص9.

[6] فايزة، المرجع نفسه، ص104 .

[7] **المقري(أحمد بن محمّد.ت1041هـ/1631م)**: نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: مريم قاسم الطويل ويوسف قاسم الطويل، ط1، 1995م ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج4.ص156.

[8] فايزة، المرجع السابق، ص114؛ المقري، المصدر السابق، ص152 .

[9] **عبد الجواد(إبراهيم)**: معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (96هـ898م)، ط1 ،2004م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ص ص 403، 404؛ **الداية(محمّد رضوان)**: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط1، 1968م، دار الأنوار، بيروت، لبنان، ص ص 79، 80 .

[10] الحرّاق(محمّد شداد): **أدب الشروح عند المغاربة من أشكال التلقي النقدي للأعمال الأدبية**،- يوم 2017 - 03 - 28 ، موقع http://ns1.almothaqaf.com/reading :

[11] محمد شداد ، المرجع نفسه.

[12] فايزة مجاهدي، المرجع السابق، ص أ.

[13] **تومي(جويدة يوسف)**: **أولى حواضر الدراسات اللغوية المغربية**، مجلّد 15، العدد 1، مجلّة البحوث والدراسات، ص492.

[14] فايزة، المرجع السابق،ص4.

[15] عصيدة(**فادي أحمد صقر**): **جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي**، إشراف: وائل أبو صالح، 2006م، ماجستير، فلسطين، ص23.

[16] **الشطي(سليمان)**: المعلقات وعيون العصور، (1432هـ/2011م)، عالم المعرفة، ص7 .

[17] عبد الجواد، المرجع السابق، ص ص277،276.

[18] المقري، المصدر السابق، ج4، ص334.

[19] الذّهبي(شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان.ت748هـ/1347م): العقد الثمين في تراجم النحويين واللغويين ،تحقيق وإعداد:يحي مراد، (1425هـ/2004م)، دار الحديث، القاهرة، مصر، ص60.

[20] سليمان الشطي، المرجع السابق، ص45.

[21] الذّهبي، المصدر السابق، ص ص67،66؛ الشطي، المرجع السابق، ص60.

[22] جويدة، المرجع السابق، ص 492.

[23] نفسه .؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ص457، 458.

[24] سيبُويه، عمرو بن عثمان بن قَنبَر: يكّني "أبا بِشْرْ"، مولى لبني الحارث، ولد بقرية من قرى شيراز، يقال لها: "البيضاء"، وقدم إلى البصرة بكتبِ الحديث، فلزم حلقة حمّاد بن سَلَمة92كان كثير المجالسة للخليل، وهو نحوي له مجلس في مسجد البصرة، وكان شابًا جميلًا لطيفًا، قد تعلّق من كلّ علمٍ بسببٍ، مع براعته في النحو، وسيبَويه، اسم فارسي ف"السِي" ثلاثون، و"بَوَيه" رائحة، كأنه في المعنى ثلاثون رائحة99. أنظر، التنوخي، المصدر السابق، ص92 وما بعدها.

[25] الذهبي ، المصدر السابق، ص ص 217، 218 .

[26] أخبار المبرّد، هو محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سُليم بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن بلال بن عبد الله بن عوف بن أسلم بن ثماله بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ويقال بأنّ علم النحو بعد طبقة الجرْمي، والمازني إلى أبي العباس محمّد بن يزيد الأزدي الثمالي، وهو من ثمالة، قبيلة من الأَزْد، وأخذ النحو عن الجرمي والمازني، وغيرهما، وكان مولد المبرد سنة(210هـ/826م)، ومات سنة(285هـ/898م)، وله تسعٌ وسبعون سنة، ودُفِن في مقابر باب الكوفة، من كتبه: كتاب معاني القرآن، احتجاج القراءات، الردّ على سيبويه، قواعد الشعر، إعراب القرآن، الحثّ على الأدب والصدق، قحطان وعدنان الزيادة المنتزعة من سيبويه، المدخل في النحو، أدب الجليس، الحروف في معاني القرآن إلى طه، كتب الإعراب. أنظر، ابن النديم(محمّد بن إسحاق، المعروف إسحاق بأبي يعقوب الورّاق): كتاب الفِهرست في أخبار العلماء والمصنّفين من القدماء والمحدّثين وأسماء كتبهم، ط1، (1427هـ/2006م). دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ص64، 65.

[27] الذهبي، المصدر السابق، ص ص188، 189.

[28] **أبو حمزة علي بن حمزة الكِسائي**: أحد القرّاء السبعة، وأخذ علم النحو عن الرُؤاسي، قدم البصرة، ثمّ خرج إلى بغداد، وقدِمَ أعراب الحَطَمَة، وأخذ عنهم شيئًا فاسدًا، وخلَطَ هذا بذلك فأفْسدَ، ويقال: "أنّه كان مولى لبني أسَدٍ" توفيّ هو ومحمّد بن حسن الشَيْباني في الري سنة(189هـ/805م). أنظر، التنوخي، المصدر السابق، ص ص191، 192.

[29] الذهبي، المصدر السابق، ص ص173، 174.

[30] من مؤلّفاته: أمالي أدبية، وله كتاب "الإيضاح "، و"شرح خطبة أدب الكاتب"، وكتاب "اللامات"، و"المخترع في القوافي "، أنظر، الذهبي: المصدر السابق، ص ص151،150.

[31] جويدة، المرجع السابق، ص491.

[32] ابن خلدون (عبد الرحمن محمّد): المقدمة ، ط1، (1424هـ/2003م)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص350.

[33]عبد الجواد، المرجع السابق، ص109 ؛ السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص482 .

[34] الذهبي، المصدر السابق، ص ص19، 20,

[35] الذهبي، المرجع نفسه، ص ص111، 112؛ السيوطي ، المصدر السابق، ج1، ص291.

[36] **بوهنوش (فاطمة)**: **مقال آراء سيبويه وأثرها في الشروح النحوية (شروح الألفية أنموذجًا**، مجلّة دراسات معاصرة، نشر 02-06-2019 ، جامعة بن خلدون، تيارت، الجزائر، ص21؛ عصيدة، المرجع السابق، ص15.

[37] بوهنوش، المرجع نفسه، ص19.

[38] بوهنوش، المرجع نفسه، ص20.

[39] بوهنوش، المرجع نفسه، ص19.

[40] "القالي: نسبةً لقرية "قَالِيقّلا"، من أعمال مَنازُكرد، من إقليم أرمينية، رافق أُناسًا من تلك القرية فعُرف بذلك تلقيبًا وشُهر به". أنظر، الذهبي، المصدر السابق، ص170,

[41] الذهبي، المصدر نفسه، ص ص169، 170 ؛ السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص453.

[42] عن الدواوين الشعريّة التي جلبها معه من المشرق. أنظر:رضوان الداية، المرجع السابق، ص55.

[43] الذهبي ، المصدر السابق، ص170.

[44] بوهنوش، المرجع السابق ، ص19.

[45] عبد الجواد، المرجع السابق، ص ص91، 92.

[46] عبد الجواد، المرجع السابق، ص ص 218، 219 .

[47] الذهبي، المصدر السابق، ص ص146 ، 147 .

[48] الذهبي، المصدر نفسه، ص146.

[49] الذهبي، المصدر نفسه، ص174.

[50] الذهبي، المصدر نفسه، ص ص111، 112.

[51] عبد الجواد، المرجع السابق، ص 178.

[52] عبد الجواد، المرجع نفسه، ص ص64 ، 65 .

[53] ابن خلدون، المصدر السابق، ص328 .